

السؤال

أنا انسان مسلم ومؤمن وموحد أعاني من الوسواس، والقلق، والاكتئاب، فهل هذا يعني عدم دخول الإيمان إلى قلبي ؟ وما تفسير قوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) الأنعام/ 125 ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

إصابة الإنسان بالوسواس لا تعني عدم دخول الإيمان في قلبه ؛ فقد كانت الوسواس تعرض لبعض الصحابة رضي الله عنهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " جاء أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه : إننا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، فقال : (أو قد وجدتموه؟) ، قالوا : نعم ، قال : (ذاك صريح الإيمان) " رواه مسلم (132).

وفي الصحيحين عنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك؟! فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته) .

رواه البخاري (3276) ، ومسلم (134) .

وعن ابن عباس قال : " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه الشيء لأن يكون حُممة أحب إليه من أن يتكلم به، فقال صلى الله عليه وسلم:

(اللَّهُ أَكْبَرُ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ أَمْرَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ) " رواه أبو داود (5112) وصححه الألباني .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب الإيمان : " والمؤمن يبغى بوساوس الشيطان ، بوساوس الكفر التي يضيق بها صدره . كما قالت الصحابة : يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لئن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به. فقال (ذاك صريح الإيمان) . وفي رواية ما يتعاظم أن يتكلم به. قال : (الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة). أي حصول هذا الوسواس ، مع هذه الكراهة العظيمة له، ودفعه عن القلوب هو من صريح الإيمان، كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه، فهذا عظيم الجهاد... " .

إلى أن قال : " ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعُباد من الوسواس والشبهات ما ليس عند غيرهم ، لأنه (أي الغير) لم يسلك شرع الله ومنهاجه ، بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه ، وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم

والعبادة ، فإنه عدوهم يطلب صدهم عن الله تعالى " انتهى .

والواجب عليك - أخي الكريم - هو عدم الالتفات إلى هذه الوسواس البتة ، وإذا حصلت فتجاهلها واعتبرها هُراءً ووهماً وكلاماً لا قيمة له ، وذلك مع كثرة الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، والإكثار من ذكر الله تعالى ، والدعاء بأن يصرف الله عنك كيد الشيطان ، وملازمة ذكر الله تعالى ، آناء الليل ، وأطراف النهار ، وفي كل أحوالك ، والانشغال بما هو نافع من علم أو عمل أو عبادة أو نحو ذلك مما يعين على تجنب هذه الوسواس .

وهناك أمور أخرى تساعد في علاج تلك الوسواس تجدها في جواب السؤال رقم: (21052) ، و(210592).

مع التنبيه إلى أهمية عرض نفسك على طبيب نفسي أخصائي ، إذا زادت الوسواس عليك ، فالجمع بين العلاجين : الطبي الدوائي ، والمعرفي السلوكي الإيماني ، من شأنه أن يعينك على تجاوز ذلك ، بإذن الله ، ويعجل شفاءك .
أما إصابتك بالقلق والاكتئاب فلا يعني أيضاً عدم دخول الإيمان في قلبك ، وإنما قد يكون ذلك من نقص التوكل على الله ، أو ضعف اليقين بما عنده سبحانه ، أو لضعف في إقبالك على ذكر الله ، وتلاوة القرآن ، فإن ذلك من أعظم أسباب طمأنينة القلب .

وقد سبق الكلام عن علاج القلق والاكتئاب في جواب السؤال رقم: (45847) ، و(21677) فراجعهما.

ثانياً:

أما قوله تعالى : (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) الأنعام/ 125 .
فالمقصود من قوله : (يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ) هو : الكافر الذي لا يؤمن بالله تعالى ، ودل على ذلك خاتمة الآية إذ قال : (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) يَقُولُ : يُوسِّعُ قَلْبَهُ لِلتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بِهِ .

وقال في قوله تعالى : (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا) : يَجْعَلُ اللَّهُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ضَيِّقًا ، وَالْإِسْلَامُ وَاسِعٌ .
وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ : (ضَيِّقًا حَرَجًا) شَاكًا .

وَقَالَ عَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ : (ضَيِّقًا حَرَجًا) لَيْسَ لِلْخَيْرِ فِيهِ مَنَفَعَةٌ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ (ضَيِّقًا حَرَجًا) بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ، حَتَّى لَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَدْخُلَهُ . كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

انتهى من " تفسير ابن كثير " ت سلامة (3/ 334).

وقال الشيخ ابن باز " فهو سبحانه وتعالى يتصرف في عباده ، فقد يوفق هذا ويشرح قلبه للإيمان ويهديه للإسلام ، وقد يجعل في قلبه من الحرج والتناقل عن دين الله ما يحول بينه وبين الإسلام " انتهى من "فتاوى نور على الدرب" (1/99 ، 100) .
والله أعلم.